العلــم والتعلُّــم

الحمد لله المتوحدِ بالعظمة والجلال، المتصف بصفاتِ الكمال، المنزه عن الأشباه والأمثال، أحمده سبحانه وأشكره شكراً يزيدُ النِّعمَ ويحفظها من الزوال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمداً عبده ورسوله أنقذ الله به من الضَّلال، وهدى إلى أشرف الخصال، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه والآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآل.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ، فإن التقوى منبعُ الفضائل، ووائدة الرذائل.

أيها المسلمون:

العلومُ تختلف فضلاً وقدراً باختلاف مقاصِدها، وتتفاوت سمواً ورفعة باختلاف مصادرها ومواردها، وأفضلُ العلوم وأشرفُها وأنفعُها للإنسان، ما تحصل به سعادةُ قلبِه، وانشراحُ صدرِه، واطمئنانُ نفسِه، وهو ما أُخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إنه عِلْمُ الدين، الذي يَعْرِفُ الإنسانُ به ربَّه، ويعرفُ به نفسَه، ويهتدي به إلى غايتِه.

لقد أمر اللهُ بالأخذِ بأسبابِ العلم، وأعلى شأنَه، ورفع درجات أهلِ العلم من المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: الآية ١١]، وإن العلمَ باللهِ وأسمائِه وصفاتِه وأحكامِه

وشرعِه، أجلُّ المطالب، وأسمى المواهب، وهو حياةُ القلوب من الجهل، ومصابيحُ الأَبصارِ من الظلم، يبلغ العبدُ به منازلَ الأخيار، والدرجات العلى في المآل، هو إمامُ العمل، والعملُ تابعُه، يُنمِّي الإيمان، ويحيي الضمائر، ويغرس الفضائل، ويقي الإنسانَ شحَّ نفسِه، وطغيانَ غرائزِه على عقله، خيرُ ما أنفقت فيه الأنفاس، وبُذلت فيه المهج. من آفاقِه تُشرقُ شمسُ المعارف، فتنيرُ وهادَ الحياةِ وأنجادَها، فتتدرج إلى الخير المعقود والعزِّ المنشود، به انشراحُ الصدور وزكاةُ النفوس ونورُ البصائر وهو الوسيلةُ لكلِّ الفضائل، يلحق به المتأخرون السابقين الأوائل، وهو الأنيسُ في الوحدة، والصاحبُ في الخلوة، والدليل في السراء والضراء، ومنارُ سبل الجنة، به يطاع الربُّ ويعبد، وبه توصلُ الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام.

أيها المسلمون:

خلق الله تعالى الإنسان ودعاه إلى تعلُّم البيان، والأخذِ من المعارف؛ لأن العلم يوسعُ المدارك، وينيرُ العقلَ بالدَليلِ القاطع، والبرهانِ الساطع، والحجةِ الدامغة.

العلمُ أفضلُ مكتَسب، وأشرفُ منتسَب، وأنفسُ ذخيرة تقتنى، وأطيبُ ثمرة تُجْتَنى، نور زاهر، وقوت هنيء، تنشرحُ به النفوس، وتُسَرُّ به الأفئدة.

وما اكتسب مكتسِبٌ مثلَ علمٍ يهدي صاحبَه إلى هدى أو يردُّه عن ردى، يقول بشر الحافي ـ رحمه الله ـ: «لا أعلم على وجه الأرض عملاً أفضلَ من طلب العلم». العلمُ دليلٌ على الخير وعونٌ على المروءة وإحياءٌ للدين وإذلالٌ للشيطان، يقول سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ: «من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل». العلم شرط للعمل، وهو الموضِّحُ لأركانِ العبادة وشروطِها وآدابِها، وما يصْلِحُها وما يُبْطلها، وما يكمِّلها

أو يُنقِصُها، مع العلم بالله ينفعك قليلُ العملِ وكثيرُه، ومع الجهلِ بالله لا ينفعك قليلُ العملِ ولا كثيرُه.

لقد امتن اللَّهُ على الأنبياءِ الكرام بما آتاهم من العلم وذكرَ اللَّهُ هذا الفضلَ العميمَ في كتابه فقال عن يوسفَ عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: الآية ٢٢]، وقال عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، وقال عن داودَ وسليمانَ عليهما السلام: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: الآية ٧٩]، إنه ميراث النبوة كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النَّمل: الآية ١٦].

أيها المسلمون:

لقد عُني الإسلام بالعلم أبلغَ عنايةٍ وأتمَّها، دعوةً إليه، وترغيباً فيه، وتعظيماً لقدره، وتنويهاً بأهله، وحثاً على طلبِه وتعلُّمِه وتعليمِه، وبياناً لآدابه، وتوضيحاً لآثاره، وترهيباً من التهاونِ به، أو الازدراء بأهلِه.

طلبُ العلم والاستزادة منه شرفٌ لا يضاهى وفضلٌ لا يحد، ثمراتُه عاجلة وقطوفُه دانية، فوائدُ شتى وعوائدُ حميدة، تحفز ذا الهمةِ إلى طلبِه والاشتغال به.

انطلق العلمُ في هذه الأمة ببسم الله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: الآيتان ١، ٢]، ومن كرم الخالق رفعُ هذا العلق إلى درجةِ الإنسان الذي يُعلَّم فيتعلَّم.

إن العلمَ نورٌ في قلبِ المؤمن مُستمَدٌّ من مصباحِ مِشْكاةِ النبوة وهو روحُ الحياة، تَشْرُف النفسُ به، وتزكو بجمعِه وتحصيلِه، ثوابه نهرٌ يتدفقُ في الحياة والممات، وسلوكُ طريقِه تسهيلٌ لطريق الجنة، العقلاءُ مطبقون على تعظيم العلم والحثِّ على تحصيله، يرفع الله بالعلم أقواماً فيجعلُهم في الخير قَادة، فَكم من وضيع رفعه العلم إلى مصاف الَشرفاء، وكم من حقير عند الناس نظمه العلمُ فِي سلك العظماء. هو الوسيلة إلى القُرْبِ

من ربِّ العالمين، قبضُه إيذانٌ بزوالِ الكونِ بأسره، تحب الملائكة مجالسة أهله وبأجنحتِها تحفهم، ومن في السموات ومن في الأرض مستغفر لهم، يقول المصطفى ﷺ: «**من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكةَ لتضعُ أجنحَتها رضاءً لطالبِ العلم، وإن العالِم ليستغفرُ له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتانُ في الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضلِ القمر على سائرِ الكواكب، وإن العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياءَ لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**» (رواه الترمذي).

أيها المسلمون:

العلماء وارثوا علم الرسالة بهم قام الكتاب وبه قاموا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: الآية ٢٨]، هم النجومُ بهم يهتدى ويقتدى، يَنفون عن الأمةِ المزاعمَ الباطلة، وهم مثالُ الاستقامةِ ومعقلُ الدين، بالعلم عاملون، وعلى الحق سائرون، يهدون بالحق وبه يعدلون.

استشهد الله بهم على أجل مشهودٍ به وأعظمِه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨]، وجعل كتابَه آياتٍ بيناتٍ في صدورهم وهم أهلُ خشيته، خصهم من بين الناس بذلك، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «موت ألفِ عابدٍ يصوم النهارَ ويقوم الليل، أهونُ من موت عالم بصيرٍ بحلال الله وحرامه»، ذلك لأنهم حاملوا كلمةِ التوحيد يدعون إلَى الله على بصيرةٍ وهدىً وكتابٍ منير، دعا الله الناس إلى سؤالهم فيما يجِدُّ من مسائلَ وقضايا فإجابتُهم تزيل الشبهات وتُزيح السدودَ أمامَ العقلِ الظاميء إلى المزيد من المعرفة، فتتوثق عرى الصلةِ بين السائل وربّه فيستقيمُ في سلوكِه وأحوالِه معَ مجتمعه.

أيها المسلم:

إذا جالستَ العلماء فكن على أن تسمعَ أحرصَ منك على أن تقول، وليكن سؤالُك تفقهاً لا تعنتاً، إن من وصايا لقمان: «يا بني جالسِ العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن اللَّهَ يُحيي القلوبَ بنورِ الحكمة، كما يُحيي الأرضَ بوابلِ المطر»، فعليك بتبجيل العلماءِ أهلِ الفضلِ والإيمان، ومن عرف لذي الفضلِ فضلَهم فقد ولج طريق الخير.

أيها المسلمون:

إن التعليمَ عملٌ جوهريٌّ في نفسه سام في غايته، وهو خيرُ ما يَرْفعُ من شأنِ صاحبِه وهو أوفرُ الوسائلِ إلى تهذيبِ النفوس.

والمعلمون هم الأُمناءُ على أبناءِ هذه الأمة، والفطرُ السليمة تُقبِل على حديثِ من أحسن الدرسُ أدبَه، وهذب الأدبُ منطقَه، ودور التعليم في جميع مستوياتها هي محاضنُ الجيل، وهي الحصنُ الحصينُ لحمايةِ الأمةِ والحفاظِ على أصالتِها وبقائِها وثقافتِها. إنها تحوي أثمنَ ما تملكه الأمة تحتضنُ الثروةَ البشرية رجالَ الغدِ وجيلَ المستقبل، وإذا حُفظت العقولُ والأخلاقُ وأحيطت التربيةُ بسياج الدينِ المتين ورُبطت برباطِ العقيدة الوثيق، صَلَحت الأعمال واتضح السبيل، فصلاحُ الأعمال في صحةِ العلوم، والتربيةُ الصحيحة الجاريةُ على السنن المستقيمة تنتج رجالاً أمناءَ أوفياء، ذوي نصحٍ وإخاء.

ولأهميةِ التعليم في تكوين الأمم كان الرسل الكرام ينشرون العلم في أمتهم، يقول عمرُ بنُ عتبةَ لمعلِّم ولدِه: «ليكن أولُ إصلاحِك لولدي إصلاحَكَ لنفسِك فإن عيونَهم معقودةٌ بعينك فالحَسَنُ عندهم ما صنعتَ والقبيحُ عندهم ما تركتَ، علِّمْهم كتابَ الله ولا تملَّهم فيه فيتركوه ولا تتركهم منه فيهجروه، رَوِّهم من الحديثِ أشرفَه ومن الشعرِ أعفَّه».

أيها المسلمون:

إن التحليَ بمحاسنِ الآداب ومكارم الأخلاقِ والهديِ الحسنِ والسمتِ الصالح سمةُ أهلِ الإسلام، وإن العلمَ والإيمان هما أثمنُ درة في تاجِ الشرعِ المطهر. وخيرُ العلوم ما ضبط أصلُه واستذكر فرعُه وقاد إلى اللهَ تعالى ودلَّ على رضاه، ومدارُ الأعمال على النيات، ولا يتم أمرٌ ولا تحصُلُ بركةٌ إلا بصلاحِ القصدِ والنية، والإخلاصُ لله تعالى في طلب العلم عُنوانُ الوقارِ وسموِّ الهمةِ ورجحانِ العقل، العلمُ نورٌ يقذفه الله في القلبَ يزيدُ بالخشية ويضعفُ بالمعصية، وليس العلمُ أن تعرف المجهول ولكن أن تستفيد من معرفتِه، فالعلوم ما وضعت إلا لتهدي إلى العلم النافع، فلا شرف لها في نفسِها وإنما شرفُها بما يترتب عليها من عملِ صالح وأثر حسن، العلومُ النافعة تُصْلح العقائد، وتزكي النفوس وتهذّبُ الأخلاق وتكون بها الأعمالُ صالحةً مثمرةً للخيرات فمن غرس العلم اجتنى النباهة، ومن غرس الوقارَ اجتنى المهابة. فالعلمُ النافع حقاً هو الذي يُرى أثرُه على صاحِبه نوراً في الوجه، وخشية في القلب، واستقامة في السلوك، وصدقاً مع الله وصدقاً مع النفس ومع الناس.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: الآية ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رافعِ أهلِ العلم درجات، والمفضِّلِ ذوي العلم في الحياةِ والممات، والصَّلاةُ والسلامُ على خير من علَّم وهدى وعلى آلِه وأصحابهِ ومن استن بسنته وبهديه اهتدى.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، فإن من اتَّقى الله وقاه، ومن توكَّل عليه كفاه.

أيها المسلمون:

من أورثه الله علمَ الكتابِ والسنةِ فقد اصطفاه يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» (رواه البخاري)، فعليكم بالعلم النافع والسمتِ الحسن، داوموا على السكينةِ والوقارِ، والخشوعِ والتواضع، واطلبوا العلمَ من ينابيعه ومناهله الصافية، اطلبوا من العلمِ آكدَه وأوجبَه، وأغزرَه نفعاً، وأقرَبه طريقاً إلى رضا ربكم، تكونوا من سادات الأمة. والعلمُ أكثرُ من أن يحاط به، والعاقلُ يأخذُ منه أحسنَه، فالنبيلُ يكتب خيرَ ما يسمع، ويحفظُ أحسنَ ما يكتب، ويحدثُ بأحسنِ ما يحفظ، ولا تكابر العلمَ فإنه أودية، فأيها أخذتَ فيه قطعَ بك قبل أن تبلغَه، ولكن خذه مع الليالي والأيام، ولا تأخذِ العلم جملة فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكنَّ الشيءَ بعد الشيءِ مع الأيامِ والليالي، وداوِ بدواءِ الإخلاصِ عليلَ العملِ القليل.

فالعلمُ لا ينال إلا على جِسْرٍ من التعبِ والمشقة، ومن لم يتحمل ذُلَّ التعلم ساعةً تجرعَ كأسَ الجهل أبداً، تلقَّ العلمَ عن أهلِه فمن دخل في العلم وحدَه خرج وحده.

تحلَّ بالنظرِ والتفكرِ في نصوصِ الشرع، والتأملِ في مقاصدِ الشريعة، والجأ إلى الله في الطلبِ والتحصيل، وافزع إليه وحده في الدعاءِ واللجوءِ إليه، والانكسارِ بين يديه، والعلمُ خزائن، ومفاتيحُها السؤال، ومن عَملَ بما علم أورثه الله عِلمَ ما لم يعلم.

وإذا تعلَّمَ الإنسانُ وحَصَّل قدراً من العلم فليعلم أنه قليلٌ بجانبِ ما جهل، فلا يَدْخُلْه العجب، وليعلم أنه لا سبيلَ إلى الإحاطةِ بالعلم كلِّه، فلا غضاضةَ عليه أن يجهلَ بعضَه، ولا ينبغي أن يُجَهِّل من نفسِه مبلغَ علمِها، ولا أن يتجاوزَ بها قدرَها.

فتعلموا العلمَ تعرفوا أحكامَ دينِكم وتفوزوا بما وعد ربّكم من الخير في العاجلِ والآجل.

ثم اعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٦].

اللهم صل وسلم على نبينا محمد...